

حفيدة السندباد

(حوار في مرقص أوربي)

— عشقت بلادك منذ الطفولة ..
فهل هي حقا جميلة
كما وصفتها لنا شهر زاد ؟ ..
وكنت اذاً حان وقت الرقاد
أحل الضفيرة
وأتركها تتناثر فوق الوساد ...
وأحلم أني أميره
سيأتي ويخطفني السندباد ! ..

*

غابت حزني وابتسمت .
في الشارع المغمور بالاضواء كان
الثلج يهمني ،

والفصون
تبدو كأذرع عاشقات
يحملن باقات الزنايق في انتظار أحبة،
والراقصون
يتمايلون كأنهم حقل من الازهار
يعطفه النسيم ...
ورفعت كأسي ساهما وجرعت ما
فيها بصمت ...

*

— وها قد تجسد حلم الطفولة
وجاء ليخطفني السندباد ! ..
ولكنه لم يكن ، يا صديقي ، كما
وصفت شهر زاد ..
(رشفت ثمالة كأسها وتطلعت عبر
الزجاج

تسترجع الماضي البعيد ..)
تخيلته فارسا في محياه زهو الرجولة
يحلّق بي شطر دنيا جميلة ...
وماذا وجدت ؟ ..
فتى غارقا في الاسى والحداد ...
كأنني أتقيت بهملت ، لا السندباد ! ..

*

عبر الظلام المكفهر تلسوح قلعة
« السينور » (1)

والثلج يهمني ...
من أقاصي الليل يدنو السندباد
شبحا يجله السواد :
— أعرفت ما فعلوا ؟ ..
لقد قتلوا الجميلة شهزاد !
وسفائني لم يتركوا منها على وجه

(1) بلاط الدنيمارك ، حيث تدور
أحداث مسرحية « هملت » .

المياه سوى الرماد ! ..
يتباعد الشبح المولول وهو يصرخ :
« شهزاد
قتلت .. فمن منكم سيثأر الجميلة
شهزاد ؟ ! ..

منذا سيثأر ؟ ؟ .. »

كان للنفمات ايقاع حنون
في المرقص الوردي ،
والشبان ما برحوا نشاوى يرقصون

*

— أبقى الأمير الحزين
أسيرا لافكاره القاتمه ؟
وتبقى رفيقته ساهمه
تراقب جمهرة الراقصين ؟ ! ..

*

لو أنني كنت الامير
في « السينور » لما تقاذفني التردد
والعذاب .

ولما تصنعت الجنون
وسألت نفسي « هل أكون
أو أكون ؟ .. وهل سأقبل ، صاغرا ،
سوط الزمان ؟ »

بل كنت انزلت العقاب
بالخائنين ، وغاص سيفي في الجماجم
والرقاب !

لكنني لست الامير .
وخصومتي ليست مع الملك المخاتل
أو صنيعته الحقير ..

خصمي هو التاريخ ، والموت الذي
مد الجذور
فينا الى الاعماق حتى بات يفزعنا
النشور ! ..

من نحن ؟ ماذا ظل فينا من طموح
السندباد ؟

ماذا تبقى من عوالم شهزاد ؟
لا شيء غير الدود ينخر في الجماجم
والصدور ..

ان يسكن الموتى القبور فنحن تسكننا
القبور ! ..

لا تسألي لم لا ثور ؟
ثرنا ، صرخنا في الشوارع ...
كان نفخا في رماد ..

من يستطيع بكفه العزلاء تفتيت
الصخور ؟ ! ..

الثلج ما ينفك يهمني ،
والكؤوس تشع في أيدي الحسان
والدفء يسري في المكان

ويدب في الأوصال ممتزجا
بما نشرت فساتين الصبايا من عطور
« في زحمة العلب الرخيصة ، حيث
ينعقد الدخان

سحبا ، وتختلط الشتائم بالواويل

السقيمه
يفني بنوك اليائسون
أعمارهم بحثا عن النسيان ،
يا وطن الحضارات القديمة ! .. »

*

— لماذا يرين عليك الدهول
وتمعن في صمتك المرهق ؟
اذا لم يكن عندنا ما نقول
فهل ما يبرر ان نلتقي ؟ ! ..

« لمست حقيبتها كمن ينوي الذهاب ،
وتأملتنى لحظة ، وصفاء عينها
يكرهه التساؤل والعتاب .. »

— يا غادتي الحلوة ، لا تفضبي
فأنت من حركت في الشجون !
اني امرؤٌ جاءك من بقعة

هاجعة تحت غبار القرون ..
لم يبق مما وصفت شهزاد
في وطني المفجوع الا الطلول !
تحطمت أشرعة السندباد

وقوضت بقداد خيل المغول ! ..
عزة ماضيها ولاأوه
طواهما ، فيما طواه ، الزمن
ولم نرث من أرض آبائنا

الا قبورا فاح منها العفن ! ..
لا تسألي عن وطني ، انني
بنكا أوجاعي حديث الوطن ! ..

*

تركت حقيبتها ، وكدر لون عينها
اكتئاب ...

« أسفي على الحلم الرغيد
يهوي حطاما ، غير أني ، يا صغيرة ،
لا أريد

أن تخدعي بالوهم نفسك ...
ليس في أرضي الفقيره
ما تشندين ، وليس لي قصر على
شيطان دجلة

أو جزيره ! ..
لا تسأليني غير قلبي ، انه قصري
الوحيد

وله خزائنه ...
فهل يرضيك أنك قد غدوت له
أميره ؟ ! .. »

*

نظرت اليّ برقة وأضاء عينها حنان
« هل تقرا الافكار فانتني ؟ » ..
رفعت الكأس ، كان الدفء يعبق
في المكان ،

والجمع يرقص لاهيا ، والثلج ما
ينفك يهمني

في الطريق ...

دمشق رشيد ياسين